من سادات الشهداء

بسم الله الرحمن الرحيم



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

أمة الإسلام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

فقديماً قال الشاعر:

كُتِب القتل والقِتال علينا *** وعلى المحصنات جر الذيولِ

واليوم ونحن في عصـــر انقلاب الحقائق آن للرجال أن يتبرقعوا ببراقع النســـوان ويلزموا قعر البيوت وظلمات الديار بعد أن أحجموا عن اقتحام المواطن التي لا يخوض لُجّتها إلا الأبطال ويُفسِحوا المجال لضعفة النساء لعلهن يصنعن لأمتهن شيئاً أبوا هم أن يصنعوه, فوا أسفاه على زمنٍ عشّش فيه الخور وفرّخ بين أهله الوهن وغلب عليهم الجُبن حتى اضطرت النساء ذوات الخُدور وربّات الحِجال أن يقفن مواقف الرِجال وأن ينزلن إلى السـاحات بنداءات التكبير والبحث عن النصـير, وصـرخات الاسـتغاثة يحركهن الإيمان الحي والضـمير اليقظ والقلوب المتفجرة ببراكين الغيرة على الحق والمُتدفقة بأنهار الحسـرة على دينٍ ثُلِم وعِرضٍ انتُهِك وشريعةٍ امتُهِنت وذلك في بلدٍ عبث فيه الفاسِدون المُفسِدون وتسلط عليه المارِقون المرتدون وختّنه عُبّاد الشـهوات المُتميعون, فكلنا سمع بجامعة حفصـة في مدينة إسـلام آباد في باكسـتان الجريحة والتي وقفت موقفاً اسـتحقت معه بجدارة أن تكون جامعة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ذلك الموقف الذي صرخت فيه العِفة والصيانة والحصانة في وجه التهتك والمجون والخلاعة, وعلت فيه أصــوات الاعتزاز بالإيمان والاســتعلاء بالعقيدة لتنظر باحتقار واســتصــغار لدعاوى الحضـارة العصـرية الرديئة والحرية الغربية الماجنة التي يروج لها دعاة الرذيلة في باكسـتان لتلتحق بركب الجاهلية المُعاصِـرة , فنادى الإيمان بأعلى صـــوته حتى ارتجّت الأرض بأصـــدائه ليزلزل هذا الكيان الجاهلي الهش (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

نعم هي جامعةٌ ربما لا وزن لشــهادتها في عالم شــهادات الدنيا التي يتهافت لنيلها الكثيرون ولكن شــهادتها هذه المرة وبهذا الموقف نالت بها أوسمة الفخر وتبوّأت معها أعلى مراتب التقدير واعترف بها وأذعن لها المُحب والمُبغِض لأنها شـــهادة حقٍ وصِدقٍ وإيمان, شهادة حق حيث نطقت بالحق ورفعت شِعار الهُدى ودوّت بكلمات اليقين وأيدت دعوات العِفة وصرخت في عالم الظلمات المُطبقة (وَأَنَّ هَـــذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

شـــهادة حق لأنها تحركت ببواعث الغيرة على الدين وثارت بحمية الانتصـــار للعقيدة ودفعها أنفة الانقياد لدعاة الابتذال وأخرجها اعتزاز النفس ولو مع ضعفها بالانتماء الصادق لدين الإسلام فقذفت في وجه الباطِل المهين (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا).

شـهادة حق لأنها فضـحت الباطل ومزّقت أربية الدجل عن وجوه أهله السـوداء الكالحة وأخرجته من ملاذات المخادعات ليقف أمام الجميع عارياً مفضوحاً مقبوحاً لا يواريه شيء وألقته مُحتقراً حيث يستحق (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) .

شـهادة حق لأنها انبثقت عن الفطرة النقية وانبعثت من أعماق القلوب المُوحدة وانتفضـت بسـجية النفوس الزكية ولم تترقب إذناً من مموهٍ مفترٍ ولا تزكية من مداهنٍ مُتملق ولا تقديراً وتشريفاً من طاغيةٍ عابِثٍ عائِث فالإذن والتزكية والتشريف كلها في قول الكريم ذو الفضل (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

فهنيئاً لذلك الجمع الذي تفيأ ظِلال الأخلاق السامية ووثب في قِمة الشرف وأجاب داعي الحق بسكينة وثِقة وسط ضجيج وصخب دعوات الانحلال والابتذال.

لبيتِ صوت الحقِ دون تلعثمٍ *** وعصيتِ صوت الفاجِر الأفاكِ

جانبتِ أخلاق العدو تكرماً *** وتبِعتِ خلقاً سنّهُ مولاكِ

وزهدتِ في أزيائهم وعُروضِهم *** وجعلتِ مطلبك الشهي أخراكِ

وُوفقتِ يا أختاه في نيل الرِضى *** فتضرعي شُكراً لِذي نعماكِ

واليوم وبعد أن سطّرت جامعة حفصة بإسلام آباد موقفها واعتلت معه عرش المفاخر أبى أساتذتها وعلماؤها أن يكون موقفهم دون موقف تلامذتهم الذين ربوهم على معاني الإيمان وغرسوا في قلوبهم علو الهِمة ونشّؤوهم على طلب المعالي وهونوا أمامهم سُبل التضحيات فتوجوا شُرُفات العِز بتاجٍ يبرق فوق ناصية التاريخ وهم يُحيون بقولهم وفِعلهم شعاراً لا يستوعب مضمونه ولا يُدرِك دِقة معناه إلا أئمة الصبر والهدى واليقين.

ولستُ أبالي حين أُقتلُ مسلما *** على أي شِقٍ كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** يبارك على أوصال شِلوٍ ممزعِ

هكذا نطق الحق واليقين قديما وأبا أن يعطي الدنية في دينه وهكذا ينطق الحق واليقين اليوم وفي كل يوم ويأنف أن يُرضي الباطل بكلمة تطمح إليها نفسه الذليلة.

بهذا المعنى الإيماني كانت ملحمة (لال مسجد) أو ما يُسمى بالمسجد الأحمر والذي كان أحمراً حقاً لا تزويقاً وتمويها وذلك حينما طلته بل روته دماء الشهداء الأوفياء الأزكياء فيما نحسبهم والله حسيبهم وهم يقفون مواقف نوادر الأبطال وينحتون في صفحات التاريخ قِصة فذة من قِصص النِزال قل ما يُعاد مِثلها, فكما كان هذا المسجد الشامخ يتخرج من حلقاته طلبةٌ وعلماء يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هاهو اليوم يُخرِّج دفعة جديدة من الجهابذة الأفذاذ ليكونوا بعد تقلد أوسمة التخريج في مصاف سادات الشهداء كما نحسبهم والله حسيبهم.

وعلى رأس كتيبة الليوث هذه الإمام المِقدام والعالِم العامِل الشهيد ابن الشهيد وابن الشهيدة أيضا – فيما نحسبهم – عبد الرشيد غازي رحمه الله الذي صدع بالحق في زمن الخُنوع واستعلى بالإيمان في عصر الخُضوع واستهان بالباطِل المغرور الذي ركن إلى قوته واتّكل على جبروته ليقول له بيقين وثقة وطمأنينة لك تبجحك وانتفاشك أما أنا (فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ) والذي قال وهو في ضائقة الحِصار وفي غمرة توعد العدو وتهديده إنني أفضل الموت على التنازل عن شيء مما أدعو إليه أو الاستسلام للأسر فطابق قوله فعله.

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده *** إليه الحِفاظ المر والخلق الوعرُ

فأثبت في مستنقع الموت رجله *** وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ

ألم يقل نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد من قال كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائرٍ؟

فكيف بكلمة حقٍ يُقذف بها في وجه أحد أركان الكفر والطغيان بل في وجه دولته وجيشه وأجهزة استخباراته وأمنه كلها, فبلغها حاملها صافية صريحة من غير تملق ولا مداهنة ولا مواربة وأعلن بها بين أظهرهم وهو يرى سيوف الظلم والانتقام تبرق أمامه فلم يهبها ولم يعبأ بها فصبر على البلاغ المُبين حتى بلغ مُنيته وأتته منِيته فقُتِل رحمه الله وقُتِلت بجانبه والدته رحمها الله ليُخرِس كل لسانٍ أفّاك ويُفحِم كل قلبٍ حقودٍ حسود راح يروج الأكاذيب ويبُث الأراجيف ولسان حاله يقول لهؤلاء جميعا (قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

فكان قُدوة لمن يقاتلون بين يديه وصار مدرسة للذين سيسيرون على أثره بإذن الله لتكون هممهم عالية ولِتُصبح غاية تنافسهم هو الصعود إلى مراقي السعود لنيل شرف الشهادة في أعلى درجاتها وأنبل حالاتها..

إذا غامرت في شرفٍ مرومِ *** فلا تقنع بما دون النجومِ

فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ ***كطعم الموت في أمرٍ عظيمِ

عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله ", فهل تجاوز شهداء المسجد هذا الوصف الذي وصف به نبينا صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء ؟

ألم يقوموا في وجه طاغيةٍ متجبرٍ مستبدٍ علمانيٍ قذِرٍ حينما رأوه يجر البلاد والعِباد إلى هاوية الانسلاخ من الدين والتحلل من الأخلاق والتبعية التامة لأسياده في الشرق والغرب ليجعل هذا الشعب المسلم نسخة مطابقة لهم في ثقافتهم وأخلاقهم وعقيدتهم وعاداتهم, فقاموا في وجهه ووجه جيشه العميل الذليل وأجهزة استخباراته التي لا تستأسد إلا على الضعفاء, ليقولوا لهم أوقفوا قِطار الإفساد الذي دمر البلد وحطّم القِيم وهشّم الفضيلة.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن باكستان لم تستقل وتتحرر من تسلط عُبّاد البقر ليستعبدها عُبّاد الشهوات وجعلان الخنا والفجور الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن باكستان لم تتأسس لتصبح دولة متنكرة للإسلام محاربة لأهله منابذة لأوامره ثم تعكف على زبالات الأفكار التي أنتجتها عُقول من لعنهم الله وغضِب عليهم وجعل منهم القِردة والخنازير وعبد الطاغوت فتُعظِّمها وتُكرِّمها وتُقدِّمها فتُحكم بها البِلاد ويُلزم بقبولها العِباد باسم التحضر والتقدم والرقي.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن باكستان لم تقم لتكون حليفاً ونصيراً لحامية الصليب أمريكا وأتباعها فتطارد المجاهدين وتعتقلهم وتنكل بالموحدين وتفتح أجواءها وموانيها وأرضها لأولئك الكفرة يروحون ويغدون في أمانٍ وحمايةٍ وأسلحتهم تحصد الآلاف من المسلمين هنا في أفغانستان.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن مهمة جيش باكستان الذي يرفع زوراً شِعار (إيمان, تقوى, جهاد في سبيل الله) ليست هي الدفاع عن الصليبيين ولا تنفيذ أوامرهم من غير مراجعة ولا معارضة ولا تهديم المساجد ولا محاصرة المدارس وتقتيل الناس في الشوارع, إنما مهمة جيش باكستان هو الالتزام الحقيقي من غير دجلٍ ولا تمييع لشعارهم الذي يزعم أنه يتبناه ويرفعه.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن شعبنا المسلم في باكستان شعب الفضيلة والصيانة والعِفة والحياء والغيرة فلا مكان بينه لأهل الدعارة والفجور والمجون والخلاعة ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وقفوا في وجههم ليقولوا لهم إن باكستان دولةٌ مسلمة وشعبها مسلم فلا بد أن تُحكم بالإسلام وتنعم بظل شريعته العادلة وترفرف فوق سمائها راية التوحيد وتُمرّغ في أوحالها رايات العلمنة والصليب وإلا يكون ذلك فباطن الأرض خيرٌ من ظاهرها.

فلأجل هذا قاموا ولأجل هذا قاوموا ولأجل هذا قُتِلوا فكانوا بحقٍ من سادات الشهداء كما نحسبهم والله حسيبهم (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً).

فكأني بهم وهم يجودون بأرواحهم واحداً واحداً ويقتحمون بحر المنايا فرداً فرداً ويُعذِرون أنفسهم أمام ربهم ونسائم الإيمان والشوق إلى الجِنان تتخلل وجدانهم يرددون بصوت المودع الموصي:

أخي إن ذرفت علي الدموع *** وبللت قبري بها في خشوع

فأوقد لهم من رفاتي الشموع *** وسيروا بها نحو مجدٍ تليد

فأكرم به من سخاء وأنعم به من عطاء وأعظِم به من جُود, فبإذن الله ستكون دماؤهم الطاهرة الزكية التي جادوا بها معلماً بارزاً يهتدي به السالكون وينبوعاً متدفقاً ترتوي منه شجرة الإسلام في باكستان وسيستلم الراية التي كانوا أوفياء لها من يسير على دربهم ويقتدي بسيرتهم ويحاكي صنائعهم ليكمل بناء صرحٍ رسّخوا أساسه بأشلائهم وهكذا ستستمر قافلة الحق,

إذا قمرٌ منه تغور أو خبا *** بدا قمرٌ في جانب الأفق يلمعُ

فما كان هذا الموقف الذي يعجز اللسان عن بيان قدره أن يذهب أدراج الرياح ويذوب في بحار الأكاذيب وكذلك هي سنة الله (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ).

يا شهيداً رفع الله به *** جبهة الحق على طول المدى

سوف تبقى في الحنايا علماً *** قائِداً للرمز ركباً للفِدا

ما نسينا أنت قد علمتنا *** بسمة المؤمن في وجه الردى

فيا أهل الجهاد في باكستان ويا ليوث التضحية والإقدام ويا طُلاب الشهادة وخُطّاب الحور:

إن الإنسان إنما يموت مرة واحدة فلتقتحموا رياض الشهادة التي فتحت أبوابها في بلادكم ولتقوموا قومة يرى الله فيها منكم ما يحب ولتنفروا جميعاً لإزاحة هذا الطاغية المرتد المُفسِد وإزالة حكمه العلماني الطاغوتي ولتدكوا حصون جيشه الهزيل وأوكار استخباراته القذِرة ومعاقل حكمه الجاهلي ولتقتدوا بجاركم شعب أفغانستان الأبي الذي جعل بثباته وعزيمته وقوة صبره وصِدق توكله على ربه جعل أرضه مقبرة للإمبراطوريات المتكبرة المتجبرة وأخرجها خائبة خاسرة تجر أذيال الهزيمة وسحق معها كل عميلٍ ذليل, وكذلك فلتفعلوا.

واعلموا أن ضريبة الذُّل التي سيدفعها الشعب الباكستاني باستسلامه وتبعيته وخضوعه لهذه الحكومة المرتدة هي أضعاف أضعاف ضريبة العِز التي سيبذلها بسخاء وجود ورضا لإعزاز الدين وتحكيم الشرع وصيانة العقيدة والتحرر من عبادة العِباد والتنعم بعبادة رب العِباد, فالحق لا يُقام بالاستجداء والحقوق لا تُسترد بالتذلل والظلم لا يُرفع بالتوسل وإنما بالعزائم الصارمة والهِمم السامية والعمل الجاد والتضحيات المتواصلة واستسهال الصِعاب والاستهانة بالمخاطِر,

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ *** وتأتي على قدر الكِرام المكارِمُ

وتعظم في عين الصغير صِغارها *** وتصغر في عين العظيم العظائمُ

وخيرٌ من ذلك وأنفع لكم قول الله عز وجل: (انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ).

نسأل الله أن يتقبل الشهداء ويرفع درجتهم في عِليين ويفرج عن الأسرى والمكروبين ويُداوي الجرحى ويشفي المرضى ويُلهم أهل الجميع الصبر ويوفيهم الثواب بلا حِساب إنه كريمٌ وهّاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.